العمران في الحواضر اليمنية

(عرفت اليمن الظاهرة العمرانية منذ وقت مبكر ونحن نلحظ أن الذاكرة الشعبية تختزن في دهاليزها الكثير من المعارف الهندسية وكذلك الكثير من التشريعات العرفية، تراكمت عبر الحقب والأزمنة المتعاقبة، وظلت هي الأكثر حضوراً في التفاعل الاجتماعي اليومي الى زمن قريب ربما يعود الى عقد تسعينيات القرن الماضي ولا نستطيع القول بغيابها الكلي إذ لاتزال ذات حضور تفاعلي في ريف اليمن وبعض مدنه وحضره من المدن الثانوية.

عبدالرحمن مراد

فالتشريع العرفي يحضر البناء في الأرض الزراعية ويحد من التوسع الأفقي فيها ولذلك حين نتأمل العمران القديم نجده يتمركز في الأماكن الصخرية أو الارض البور الغير قابلة للإنتاج الزراعي ويبدو أن هذه المعارف التي توازن بين البعد الحضاري والبعد الاقتصادي وتنظر الى المستقبل بعين الاستحقاق لأجياله في أسباب ومنافع الحياة قد أصبحت طللاً في الذاكرة الاجتماعية المستلبة التي وقعت تحت تأثير الخطاب السياسي والاعلامي الذي يُعمّق ويجذّر من الشعور بالاغتراب للذات الحضارية اليمنية ويفقدها قيمتها الحضارية والمعرفية من خلال القفز على حقائقها الموضوعية، وهي حقائق كان بالإمكان تشذيبها وتنميتها وتحديثها والاشتغال على تكريسها والاعتزاز بها بدلاً من حالات القهر والشعور بفقدان القيمة أو الإيحاء بمثل هذا الشعور للذات الحضارية اليمنية، فالثورة التي تزايد الأنظمة المتعاقبة على حكم اليمن بها، لا يمكنها أن تكون هدماً ودوراناً في فراغ خارج دوائر التراكم المعرفي والسياق الحضاري لأنها بدورانها ذلك الذي تدعيه باسم التقدم تعمل على تجذير الاغتراب في الذات، والاغتراب بطبيعته شعور عدمي هلامي يشبه حالات التيه التي أصابت الأمم السابقة وقد عبر الأدب عن مثل ذلك الشعور في جل النصوص الابداعية التي واكبت المسيرة الثورية اليمنية، فنحن نقرأ ذلك في نتاج عقد السبعينيات عند البردوني مثلاً وعند القاص والروائي محمد عبدالولي وقد كانت تلك النصوص تعبيراً صادقاً عن حالات الاغتراب للذات عن سياقها الحضاري والثقافي وتعبيراً عن صدمة حضارية لا تمتد من سياقها التاريخي بل كانت منفصلة عنه بغية تأسيس نفسها حيث كان المفهوم الثوري يقوم على هدم كل الماضي ليؤسس لنفسه وللحظته الجديدة التي يظن أنها هي الأصدق في التعبير عنه، ولعلنا نلحظ الآن أثر ذلك الشعور في المظاهر العمرانية الحديثة، حيث تشيع الفوضى الدالة على القلق النفسي والاجتماعي والحضاري، فالروح الممتلئة بالقيم الحضارية لا يمكنها ان تصنع الفوضى أو تنساق اليها بأي شكل من الاشكال بل الثابت شيوع القيم الجمالية في المظاهر العمرانية والبيئية لها، ولا يكاد المرء يلحظ في المظهر العام للمدن أي مظاهر سلوكية غير سليمة أو مشوهة أو غير حضارية، ومن هنا يمكن أن يُقال أن احتلال النسق الحضاري أحدث تشوهاً في بنية الذات وبالتالي في البنية العمرانية والاجتماعية والبيئية كما نجد ذلك في كل مدننا على امتداد الارض اليمنية، ومثل ذلك التشوه لابد أن يثير سؤاله الثقافي وسؤاله الحضاري ويصبح السؤال ضرورة سياسية تفرضها الحاجات الاجتماعية والأبعاد الحضارية في بعديها التاريخي والحديث وحين نضع السؤال على الطاولة يصبح التعدد في الرؤى سمة من سمات التنوع وقد نختلف ونذهب مذاهب شتى في التفكير وفي التنوع والتعدد ولكننا قد نتفق حول قضية جوهرية وهي كيف نجعل من صنعاء الحديثة على نسق يتوازى مع صنعاء القديمة وبالمعنى الأقرب كيف نحوّل صنعاء الحديثة تحفة فنية وحضارية تثير اهتمام العالم الذي تفاعل مع صنعاء القديمة ووضعها في قائمة تراثه الإنساني العالمي، فالتمدد الأفقي للمدينة والفوضى والعشوائية وسوء التخطيط العمراني وتردي الخدمات أصبحت سمات بارزة للمدينة الحديثة، كما أن غياب التفكير في مستقبل الاجيال وفي أمنها المائي والغذائي يضع المدينة في قائمة القضايا الوطنية الكبرى التي يجب مناقشتها بمسؤولية حضارية وثقافية وإنسانية وحقوقية.

لابد من حل الاشكالات التي تواجه المزارع المحيطة بصنعاء

والمتأمل في جغرافية صنعاء وفي زحف الكتل الخراسانية والاسمنتية على الأراضي الزراعية وتدمير كل مقومات الحياة يشعر بالأسى لغياب الاستراتيجيات ومناقشة البدائل، ووضع الحلول للإشكالات التي تواجه المزارع في المناطق المحيطة بصنعاء، فالتمدد الأفقي للمدينة يجعل الدولة عاجزة عن توفير الخدمات فضلاً عن تهديده للأمن المائي والغذائي للإنسان وحين تعمل الحكومة على تحديد سياساتها العمرانية في التوسع الرأسي وتشجيع رأس المال الوطني والمجتمع على ذلك، فهي تحد من ظاهرة الفوضى والعشوائية وتحد من عجزها في توفير الخدمات وتحد من ظاهرة التمدد الأفقي للكتل الخراسانية والاسمنتية التي تهدد المساحات الخضراء.

في كل بقاع الدنيا وفي الفكر الحديث لا تنشأ منطقة عمرانية جديدة إلا وفق سياسة عمرانية مدروسة وبعد أن يتم هندستها ورسم معالمها المعمارية وسبق التمهيد لها بشق الشوارع وتوفير كل متطلبات الخدمات الاجتماعية كالصرف الصحي والإنارة والهاتف وتحديد المساحات الخضراء والمدارس ودور العبادة والخدمات الصحية، والخدمات الثقافية مثل المكتبات العامة والمسرح والنوادي الرياضية وفق نمط معماري لا يتنافر عن طبيعته الطبيعية ولا عن سياقه الحضاري ولا عن روح الجمال وفلسفته اليمنية المحضة التي ظلت تتداخل في النسيج الوجداني الجمعي.

لقد عشنا نصف قرن أو تزيد من الفوضى والارتجالية ومن ملاحقة ضرورات المجتمع، وآن لنا أن نخلق ضروراتنا وفق رؤية استراتيجية تعي خطواتها المنهجية حتى نضيف الى قيمتنا الحضارية والتاريخية قيمة أخرى جديدة تساهم في الشعور بالامتلاء الحضاري وتحد من شعورنا القاهر بالاغتراب.

باسم التمديد.. الانقلابيون يسقطون الحوار

محمد اليافعي

< رغم تأكيد فخامة الأخ عبدربه منصور هادي رئيس الجمهورية في الكثير من لقاءاته وفعالياته وإشادته المستمرة بمستوى سير العمل في البرامج والنجاحات التي يحققها مؤتمر الحوار الوطني وصولاً الى مخرجات ونتائج عملية من شأنها استكمال بناء الدولة المدنية الحديثة القائمة على مبادئ وقيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان وتطبيق النظام والقانون وتأكيده مراراً وتكراراً في خطاباته ومن ذلك حين رأس اجتماعاً لهيئة رئاسة مؤتمر الحوار الوطني مثل ما تم البدء في تنفيذ التسوية السياسية التاريخية في اليمن على أساس المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية المزمنة والمضي قدماً نحو تنفيذ بنودها ومحدداتها وصولاً الى مؤتمر الحوار الوطني الذي يعول شعبنا على مخرجاته بآمال عريضة من أجل المستقبل المأمول، وكذا تأكيد فخامته بأن النجاح وحده هو المخرج الوحيد من كل الأزمات وتراكماتها والانتقال الى آفاق السلام والوئام والتطور والبناء، وكذلك تأكيد فخامته على عدم رغبته في التمديد وقد جدد تأكيده على ذلك صراحة خلال لقائه بما عرف بأعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للشباب بصنعاء، حيث قال: إنه لا يرغب في التمديد لرئاسة قادمة داعياً في ذات الوقت أعضاء تلك اللجنة الى عدم المزايدة في هذه المسألة، ووجه كلاماً للشباب: «كفى مزايدة في موضوع التمديد»، ولعل الأخ الرئيس هادي كان مدركاً تماماً أهمية المرحلة الدقيقة والحساسة التي تمر بها بلادنا، وما خلفته وتركته الأزمة السياسية التي عاشتها منذ مطلع العام 2011م وحتى يومنا من تردٍ للأوضاع الاقتصادية والمعيشية للمواطن اليمني والذي بات يترقب بشدة خروج الوطن من محنته وتحمله الكثير من المعاناة في نقص الخدمات وقطع الكهرباء والطرقات وتدهور الأوضاع الأمنية وغيرها وتحليه بالصبر خلال مرحلة الانتقال السياسي لليمن بحسب ما نصت عليه بنود المبادرة الخليجية والمواطن ينشد من خلال مخرجات مؤتمر الحوار الوطني الخروج الآمن بوطنه نحو الغد المشرق وإجراء الانتخابات في موعدها المحدد وبحسب ما نصت عليه المبادرة الخليجية..

إلى هنا وكل شيء يسير على ما يرام إلا أنه يبدو بأن ثمة صفقات يجري طبخها خلف الكواليس حالياً وخارج مؤتمر الحوار وهي حول إجراءات وقضايا ذات صلة بصفقة تضمن الوصول بنتائج مؤتمر الحوار الى التمديد للرئيس هادي وتحت مسمى فترة انتقالية ثانية (إضافية) وتمتد من (3-5) سنوات وعلى أساسها سيتم تشكيل حكومة وحدة وطنية يشارك فيها الحوثيون والحراك الممثل في الحوار (مكون محمد علي أحمد) ويرأسها أمين عام الحوار الوطني الدكتور أحمد عوض بن مبارك..

ما نريد أن نوضحه هنا هو أنه إذا ما صحة هذه الصفقة الخطيرة.. فإنها تعتبر خروجاً واضحاً عن المبادرة الخليجية وتجاوزاً سافراً لبنودها وآليتها التنفيذية المزمنة وقراري مجلس الأمن.. والتفافاً على مخرجات مؤتمر الحوار الوطني، وتفرغ الحوار الوطني من محتواه ومن مضمونه الحقيقي وذلك أمر لن يقبل به الشعب اليمني، لأنه إذا كانت نتائج مؤتمر الحوار الوطني بهكذا صفقات سياسية تجري من خارجه فذلك يعني أن مؤتمر الحوار أصبح أكذوبة كبيرة على الشعب اليمني الذي وضع آمالاً كبيرة على مخرجاته؟!

ونتساءل هنا.. لماذا تم هدر كل تلك الأموال لمؤتمر الحوار؟ ولماذا تم إضاعة كل هذا الوقت والجهد؟! وفي حين أن هناك نتائج تضمنتها تقارير فرق العمل في مؤتمر الحوار ويفترض أن يتم التصويت عليها؟

وإلا لماذا الحوار الوطني من أصله؟!!، ثم هل تحوّل مؤتمر الحوار الى لجنة «تأسيسية» لتحل محل البرلمان والشورى؟

وفي الأخير نقول إن التمديد والانتقال الى فترة انتقالية ثانية يعد هروباً من مواجهة المشكلات وحسمها والعمل على ترحيلها الى سنوات قادمة.. وهو إعادة إنتاج لحكومة الوفاق بفشلها وفسادها وهو ما لم تستطع البلاد والعباد تحمله.

إن تزيين قبح هذا السيناريو مهما حاول المبررون من اختلاق الذرائع والحجج لذلك لن يستطيعوا إقناع الشارع اليمني ولا الخارج مهما حاولوا.. لأن هذا السيناريو التآمري يستهدف من ورائه الاخوان توجيه ضربة قاتلة للرئيس هادي ونزع ثقة الداخل والخارج عنه ضمن مخطط للانقلاب عليه.. خصوصاً بعد أن شعروا باقتراب الخطر منهم.. لذا لجأوا الممارسة مثل هذا اللعب القذر.

نتمنى من الرئيس هادي أن يتنبه لخطورة الفخ، فالشعب معه، أما السير في طريق التمديد فمعنى ذلك انقلاب على المبادرة وقراري مجلس الأمن وإرادة الشعب.

عـــودة الأســد الجـريح

دوّى الانفجار في جامع دار الرئاسة، وسُمِعَ صداه في كل أرجاء المعمورة حين تناقلت وسائل الإعلام النبأ الفاجع، وجاءت ردود الأفعال المستنكرة من عواصم الشرق والغرب.
التهمت النار المنبر والمصاحف، أحرقت الأجساد، وأزهقت الأرواح، وكان الخونة يخططون للاستيلاء على السلطة واختطاف الوطن.
يومها، انخلعت قلوبنا خوفاً من المستقبل، ولا أبالغ إذا قلت إن ألسنة اللهب امتدت الى كل بيت:
أحرقت الآمال، وشوت براعم الأحلام
ملأت أنوفنا رائحة الحريق.. صار للماء طعم الدم، وللطعام مذاق الرماد.
داهمتنا الكوابيس في يقظتنا، وظللنا ذاهلين مشدوهين:
أي عقل إجرامي هذا الذي جعل كل القيم والحرمات كل رموز البلد ومقدساتها في مرمى نيرانه الغادرة؟!

لجين اليماني

لم يستهدفوا (فقط) الرجل الذي وحد اليمن، وكان على مدى ثلاثة عقود دعامة استقراره وعنوان انتصاراته وسيادته وقراره الحر، في زمن الهزائم والتبعية والاستلاب.

وإن كان الزعيم، هو العقبة الكأداء التي أفشلت مؤامراتهم.. وقد كتب الله له النجاة، وكتب للشعب اليمني الصابر أن يخرج على يده من لجة العنف وظلمات الأحقاد ونيران الفتن.

لم يستهدفوا (فقط) كبار رجال الدولة الذي اجتهدوا وجاهدوا، أصابوا واخطأوا؛ لأنهم في نهاية الأمر بشرٌ غير معصومين، لكنهم توخّوا أن يكونوا صوت الحق ولسان الحكمة في ظروفٍ ملتبسة، يظل اللبيب فيها حيران.

لقد أحسن المجرمون الاختيار، اختيار الزمان والمكان: بيت الله، في يوم (جمعة رجب) الذي اتخذه اليمنيون عيداً، منذ دخلوا في دين الله أفواجاً.

أقول: أحسنوا الاختيار؛ لأنهم أغضبوا الخلق والخالق بضربةٍ واحدةٍ.. يا لمكرهم!!

مكر أيقظ الغافلين وهتك الاستار عن وجه الحقيقة التي أرادوا مواراتها ومواربتها.

وحتى أولئك المذبذبين أو المخدوعين الذين كانت قلوبهم مع (علي) وسيوفهم مع (معاوية)، علموا أنه قد زج بهم في معركة خاسرة.

فمن ذا ينتظر أن ينتصر بمثل هذه الأساليب الشيطانية؟!

أن ينتصر وهو ينسف قيم الدين وركائز الأخلاق؟!

علم المغرر بهم أن المستقبل الذي تحمسوا له وبشروا به هو الخراب بعينه.

فماذا يبقى من الإنسان ، إذا تنازل عن إرادته، وصار دمية تحركها خيوط غير مرئية؟!

ماذا يبقى منه إذا نافق بدناءةٍ، وتآمر بخسّةٍ، وخسر شرف المواطنة ونُبل الفروسية؟! فلم يواجه بقلوب الرجال ورسوخ الجبال، وإنما مثّل أحط نماذج الجبن، وأرذل صور الخيانة.

**

تلك مقدمة أحسبها ضرورية وأنا أقرع باب الاستاذ (نعمان دويد) لأعوده وأعايده، وأقدّم له باقة اعتذار، فقد أراد لنا الحياة الكريمة، ولم يأبه لإرهاب الإعلام وحملات التحريض، وكان كالذهب، تزيده النار نقاءً.

وزاده البعد عنّا، قرباً منّا.

«ضاقت بي الأرض، واتسعت بسمة الشامتين»، كما قال الشاعر - عندما تناقلت وكالات الأنباء خبر الاعتداء الجبان على مسجد دار الرئاسة، الذي كان الاستاذ نعمان دويد أحد ضحاياه، كما كان أحد أبطال ملحمة الوفاء للشعب والقائد (الزعيم علي عبدالله صالح).

سطر بوفائه وشجاعته وصبره بطولة نادرة لا نكاد نجدها الا في القصص المكتوبة بحبر الخيال.

ولعلي لا أنجو من التقصير إذا ما حاولت تلخيص حكاية هذا الرجل، لن أتحدث عن نبل المولد والنشأة، فهو معروف بأصله الكريم من دوحة الأقيال، ومنجم الرجال: «خولان»، التي ناصرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم- ونصرت الاسلام، ونشرت ضوءه في أصقاع العالم، لايزال صليل سيوفها، وصهيل خيولها يتردد في الماضي والحاضر مستأثرة بألف ويائه حتى اليوم.

سأبدأ من تلك اللحظة المفصلية التي تشبه النقلات المثيرة في حبكات السينما العالمية.

حين رأينا الاستاذ نعمان واقفاً على سُلّم الطائرة، مكذّباً بشموخه كل الشائعات والأراجيف التي نشرها الحاقدون عن (وفاته السريرية)، عن تدهور صحته، وانعدام الأمل في شفائه.

«كبُرت كلمةً تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً».

لم تكن تلك الشائعات مجرد شماتة دأب عليها ضعاف النفوس، بل كانت دليلاً على قوته وضعفهم.

لقد أرادوا بالفعل أن يتوارى عن الساحة وينسحب - نهائياً- من المعمعة؛ فمن مصلحتهم أن يغيب أو يُغيب كي يخلو لهم المضمار فيعيثوا في الأرض فساداً.

ولعلهم تابعوا تلك اللحظة بعيونٍ دامعةٍ وقلوبٍ واجفةٍ، ندماً على ما اقترفوه.

وخوفاً مما سيأتي فسوف تطالهم يد العدالة طال الزمان أو قصر..وحتى بعد أن فضحتهم شاشات التلفزيون ببلاغة الصورة التي لا تقبل التأويلات، ظلوا في غيّهم يعمهون، يلوكون إشاعاتٍ جديدة عن إصابته بالشلل، وعن أمورٍ أخرى مضحكة مبكيةٍ.

كان وقوفه على سُلّم الطائرة، المشهد الختامي لرحلة علاج ماراثونية مضنية، دامت 790 يوماً.

تنقّل خلالها من الرياض الى ألمانيا فبيروت ودبي، وخضع فيها لسلسلة من العمليات الجراحية، تطلّبت صبراً وجلداً، وإيماناً عميقاً، وأملاً في الله، وهي الصفات التي طالما عُرف بها في كل الظروف.

طوال فترة خضوعه للعلاج، كانت خطورة إصابته تحدياً له وللأطباء ولأهله ولكل محبيه.

ولعل دعاء الناس له بمحبة كان كلمة السر في شفائه، وانبعاثه - كطائر الفينيق الأسطوري- من تحت الرماد، كما أن أعماله الخيّرة وأياديه البيضاء على كل من عمل معه أو لجأ إليه، كانت سبباً آخر من أسباب نجاح الأطباء في تحقيق المعجزة، فعاد جسده الواهن - وإن بمشقةٍ وبطءٍ- خطوةً، من هاوية الموت الى فسحة الحياة.

كلما خضع لعملية جراحية جديدةٍ كانت مشارط الخوف تمزّق قلوبنا، بينما قلبه الكبير، ذهب في التحدي الى أبعد مدى يستطيعه البشر، رافضاً أن يستسلم، ومن عُرف عنه الاستسلام والوهن أمام مصاعب الحياة وعواصف الزمن ومتاعب المسؤولية.

تمنى كل يمني شريف، يرفض العنف ويمقت الغدر، لو يمنح الاستاذ نعمان دويد قسطاً من عافيته، ويوماً من عمره.

تخيّلوا: عشرون مليون يومٍ تُمنح لرجل خليق به أن يعيش؛ لأن في حياته حياة لمبادئ يفخر بها هذا الشعب، وحياة لقيم وصفات إنسانية نادرة.

حين تولّى المسؤولية، لم يقطف من ثمارها سوى حب الناس واحترامهم، ولم ينل من غنائمها سوى رضا الله ورحة الضمير.

عرفته ينصر المظلوم، يغيث الملهوف، يحارب الفساد، وينأى بنفسه عن الشبهات، ملتزماً بالنظام، قوياً في الحق.. لا يراوغ ولا يناور، لا يجامل ولا يُداري.

شجرة الأنساب لم تكن في يوم من الأيام مرجعه في المفاضلة بين مرؤوسيه، وإغراء المال لم يكن ليغرّه أو ليغترّ به.

هل رأيتم الجموع الغفيرة التي احتشدت لاستقباله؟

كان جلّهم من محافظتي (عمران) و(صنعاء) الذين عرفوا قدره وعلموا بالتجربة والبراهين القاطعة أنه رجلٌ استثنائيٌ.

ناهيك عن أهله وأصدقائه وزملائه، الذين اشتركوا معه في معركة البناء، وخاضوا معه الامتحان القاسي عام 2011م، الذي ظهرت فيه معادن الرجال وسقطت فيه كل الأقنعة.ظهرت تلك الفرحة جليّة في ملامحهم، في ضحكات عيونهم، وفي هتافهم وتسابقهم على تهنئه، بل إنهم كانوا يهنئون بعضهم بعضاً لهجين بحمد الله والثناء عليه؛ لأنه أعاد الأسد الجريح الى عرينه.

هل رأيتم حشود الزوار الذين يتقاطرون على منزله، وهم يرون أنه، لم تزده المحنة الا قوة، ولم يزده الألم الا تمسكاً بالمبادئ التي ناضل من أجلها، وكاد يقدم روحه قرباناً لها.

أقول هذا، وأنا على ثقة بأن الله سيأخذ بيده للتغلب على ما تبقى من آثار الجراح العميقة، التي تتطلب مزيداً من الوقت ومزيداً من الصبر، كي يعود كما كان، يزاول حياته، ويؤدي رسالته؛ فالوطن محتاج إليه، وأنا على يقين أن راحته وسعادته تكمن في خدمة الوطن والمواطن.

نعم.. وها هو الأسد يعود الى عرينه.. فهنيئاً له، وهنيئاً لنا.. ولا نامت أعين الجبناء.